

[شبكة الألوكة](#) / [آفاق الشريعة](#) / [مقالات شرعية](#) / [عقيدة وتوحيد](#)



الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة

الشيخ محمد حامد الفقي

[مقالات متعلقة](#)

تاريخ الإضافة: 16/4/2013 ميلادي - 5/6/1434 هجري

الزيارات: 17382



الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة

الإمام محمد بن أبي بكر، المعروف بابن قيم الجوزية، أغنى من أن نعرفه بترجمة؛ فإنه - رحمة الله عليه - قد طبق ذكره الخافقين، وتغلغل صيته في أعماق المشرقين، حتى لم يبق أحد من أطراف الهند الشرقية (جاوه) إلى أقاصي المغرب، إلا ويعرف عن ابن القيم - رحمه الله - أنه نسيج وحده في رد شبه الزائغين، وقمع بدع المبتدعين، وهدم عروش المشركين، ذلك بما ألف - رحمه الله - في الذب عن عقيدة السلف الصالح من كتب، ورسائل هي أشد وقعاً بقواطع حججها وقوى برهانها على الجاحدين والمخرفين والمبتدعين من مواضي الصوارم البتارة، ورائش السهام المسمومة.

نشأ - رحمه الله - في أحضان شيخ الإسلام، وقررة الأنام، وغرة الأيام أحمد ابن تيمية، وكل الناس يعرف من هو ابن تيمية، علماً وفضلاً وتقوى، وحسن بلاء في الدفاع عن الإسلام أمام جميع أعدائه، فتعهد ابن تيمية غرس ابن القيم الطيب، يغذيه بالعلوم والمعارف، ويورده مناهل الإسلام العذبة صافية غير مشوبة بأي كدر، وفي ابن القيم من سلامة الفطرة وحسن القابلية، والاستعداد التام للنبوغ والتبريز، حتى استوى على ساقه، واشتد وصلب عوده، وقويت شكيمة على خصوم الإسلام ومناوئيه، فكان بذلك قررة عين الإمام ابن تيمية وفرحته وبهجته التي كانت تخفف عنه آلام ما كان يلاقي من أذى الأعداء، ومضابطة خصوم الحق المعاندين الذين أوتوا - بقدر الله وقضائه ولتكون المثوبة لشيخ الإسلام أوفر، والأجر أجزل - من القوة وسلطان الدنيا ونفاذ الكلمة فيها ما كانوا يوجهونه كله في حرب أنصار الإسلام وأعلامه والكيد له؛ ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: 32].

والله إنه لمن آيات ربنا الكبرى، ومن أجلى نعمه العظمى: أن حفظ لنا الدين الحنيف بأولئك الغر الميامين، من شمس هذه الأمة، وأعلام هدايتها، وإنه والله الذي لا إله إلا هو - حلفة غير حانث ولا أثم - لولا شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن القيم في هذا العصر لكانت شؤون الإسلام غير هذه الشؤون، ولكان ظفر أعدائه الذين جمعوا جموعهم وغزوه من كل صوب وناحية بالغاً من الإسلام أمراً تكاد السموات يتفطرن منه، وتنشق الأرض، وتخر الجبال هدأً، ولكن هي عناية الله - تعالى - اللطيف الخبير، وحسن كلاءته، وحفظه لهذا الدين الذي هو خاتم الأديان، والذي تولى المولى الكريم - جل شأنه - القيام على حفظه وصيانته إذ قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرُفُّ الدَّيْكَرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: 9]، وهو وعد الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى؛ حيث يقول: ((إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها))، فصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والحمد لله حمداً كثيراً يوافي نعمه، ويكافئ مزيد فضله، قام الإمام ابن تيمية وتلميذه بأعظم قسط من إراحة غيوم البدع الكثيفة التي أرسلتها عقول المبتدعة والمتفلسفين على شمس الإسلام الوضاحة، يحاولون حجب نورها، حتى لا يعرف الناس من حقيقة الإسلام ما يعرفون الله به حق معرفته بصفاته الحسنى، وأسمائه العليا، ونعوت كماله، وآيات جلاله، وقد أرسلوا على هذه الصفات سيلاً جارفاً من تعطيلات الزنادقة، وتأويلات فروخ الفلاسفة من الجهمية المعتلة وغيرهم، ممن حارب الله أشد المحاربة، وعانده أشد المعاندة، وحاده أشد المحادة؛ بالإلحاد في صفاته وأسمائه، وتعالى الله عما يقول الظالمون الكاذبون الملحدون علواً كبيراً، وما القصد من المحاولات التعطيلية الإلحادية كلها إلا الحيلولة بين العباد وبين ربهم وبارئهم وإلههم، الذي لا سعادة لهم ولا هناء في الدنيا والآخرة إلا بأن يكون بينهم وبينه أوثق الصلات وأقواها، بإخلاص العبودية له، والضراعة والذل، والمسكنة والفقر، والاحتياج له وحده، حتى يؤديوا حق نعمته، ويقوموا بواجب شكر فضله وإحسانه، ومن أعظم جريمة ممن عمل على إباق العبد من مالكة، وهروبه ونفوره منه إلى عدوه وخصمه الألد؟ فإذا كان هذا أعظم جريمة ممن حاول هذا بين العبد ومالكة، فكيف بمن صرف همه وجهه في تنفير العباد من السيد الأعظم، والمالك الأكرم الذي تعرف إلى عبادته بأحب أوصافه، وأجمل أسمائه: "الرحمن الرحيم - الغفور الشكور"؟ ومن فعل ذلك، فأى خطر أعظم وأي منزلة أشرف من منزلة من جاهد هذا المجرم الخبيث بكل ما أوتي من قوة، وما وهب من يد ولسان؟

إن جهاد أمثال هذا المجرم الأثيم - والله - أعظم عند الله ورسوله والمؤمنين من جهاد الكافرين من اليهود والنصارى؛ فإن جرمهم لا يقاس بجرمه، وكفرهم لا يذكر بجانب كفره؛ ولذلك لا تجد من قام بهذا الجهاد حق القيام وصبر عليه حق الصبر إلا من أوتي من قوة الإيمان، وعظيم الحكمة، ونور البصيرة، والتضلع من الكتاب والسنة - حظاً عظيماً، فرأس هؤلاء وسيدهم محمد صلى الله عليه وسلم، ثم من بعده الصحابة رضي الله عنهم، ثم من بعدهم أهل العلم والتقى والفضل والورع؛ كالإمام أحمد بن حنبل، ثم من كان على منهجه ومنواله رضي الله عنه، ثم شيخ الإسلام ابن تيمية، ثم تلميذه شيخ الإسلام ابن القيم، ثم شيخ الإسلام مجدد العصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رحمة الله عليهم ورضوانه، وجزاهم الله عن الإسلام أحسن ما جوزي به ناصح عن نصحه، ومجاهد عن جهاده، وصابر على صبره.

ولما كانت أعظم جيوش الخاسرين في زمن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم فتنة وأشدّها شكيمة هي جيوش فروخ اليونان، وتلاميذ الزنادقة، الذين يعارضون صحيح المنقول من الكتاب والسنة بسخيف المعقول من حثالات أفكار شيوخهم، وزبالات آراء ساداتهم وكبرائهم، ويزعمون بهذه العقول السخيفة والآراء السقيمة في صفات الله - تعالى - التي نطق بها القرآن العربي المبين، والقول الصادق الصريح من لسان أشرف الأنماء الصادقين، يزعمون فيها زعمًا خرج بها عن حقائقها، وصار إلى تعطيل الله - تعالى - عن صفاته وأسمائه، حتى آل الأمر إلى أنه ليس هناك إله فوق عرشه، ولا رب مدبر قائم بنفسه، حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، وصار الأمر إلى أن الناس يعبدون وهماً وخيالاً، بنسبت مقالة صدرت عن أفجر قلب وأفسقه، نطق بها أكذب لسان وأخبثه، وقبحاً لهم من مارقين، ولقد باؤوا بمثل ما باء به شيخهم الشيطان الرجيم، وأستاذهم الذمير في معارضة النقل الصحيح بالعقل السقيم.

أقول: لما كانت هذه الفتنة في عنفوان شرها وشامخ فسادها - نهض لها الإمامان المبرزان، والحجتان القاطعتان، سيفا الله المسلولان على رقاب أعدائهم، شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، فنفخا عليها من حجج القرآن ما أذهب رمادها، وأرسلوا عليها من شهب السنة وصواعق الفرقان ما أسكت جعجعتها وأذهب شنشتها، ورفع الله بهما رأس الإسلام وأعلى مناره، وعادت كلمة الله هي العليا، وكلمة الزنادقة الخاسرين هي السفلى، والعاقبة للمتقين.

وخير كتاب لابن القيم في هذا الباب وأشدّه وقعاً، وأنكاه فعلاً في هذه البدع الزائفة: كتاب: **"الصواعق المرسلة"**؛ فهو والله كاسمه صواعق أرسلها الله من قلم ابن القيم على رؤوس أهل الزيغ والضلال، والتعطيل والإلحاد، لم يبق والله لقائل قولاً، ولا لشيطان كيداً، وحق على كل مسلم غيور على دينه أن يقرأ هذا الكتاب قراءة تدبر وإمعان، وأن يتقلد بغالي درره، التي يعز مطلبها، ويقل وجودها إلا في هذا البحر العباب، **ولكن أين هذا وكيف والكتاب نادر الوجود، ليس منه إلا نسخ قليلة في أيدي بعض الأفاضل من علماء نجد وشيوخها؟**

ولكن مهلاً إخواني من الموحدين المتعطشين إلى هذه المناهل العذبة، فلکم البشرى، وقريباً جداً تكون نسخ الكتاب كثيرة بين أيديكم، سهلة التناول عليكم، وذلك بفضل إيماننا الموفق، ومليكننا الذي جمع الله له بين ملك الدنيا وملك العلم، أمير المؤمنين (عبد العزيز آل سعود)؛ فإنه - أطال الله عمره، وأيده بنصره وقوته، وبارك لنا وللإسلام فيه - قد صدرت إرادته السنية وأمره الكريم بطبع هذا الكتاب على نفقته - وقد بدئ فعلاً في طبعه بالمطبعة السلفية بمكة المكرمة - وتلك يد بيضاء تضاف إلى حسنات الإمام، ومنه ليست بأخرى مننه، يطوق بها أعناق المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها؛ فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين والعلم والعلماء أحسن ما جوزي ساعٍ في الخير على سعيه، وأدام توفيقه ونصره.

ولما كانت النسخة الخطية من الكتاب رديئة الخط، ولا يؤمن أن يكون بها غلط أو سقط، كان واجب الأمانة والنصيحة أن تقرأ على عالم خبير، وليس لذلك الأمر إلا شيخنا الشيخ عبدالله بن حسن بن حسين بن علي بن حسين بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، فتفضل - حفظه الله - بإفراغ جزء من أوقاته ليقراء الفقير كاتب الأسطر عليه، قراءة إمعان وتدقيق، حتى تكون النسخة صحيحة قدر الإمكان، وقد أبان الشيخ - أحسن الله إليه - عن كثير من مضموماتها، وحل كثيراً من مشكلاتها.

وكان يأخذنا الطرب البالغ عند قراءة الكتاب من متانة أسلوبه، وقوي حجته، وأنه يكب المعطلين على وجوههم كباً، وينضحهم بسهامه نضحاً، لا يبقى لهم في الميدان أثر.

وحرصاً مني على تعجيل المنفعة لإخواني المؤمنين قد تخيّرت بعض مواضيع من الكتاب بأمر شيخنا الشيخ عبدالله بن حسن أحسن الله إليه، وسنوالي - إن شاء الله - نشرها في الإصلاح.

مجلة الإصلاح، غرة شوال سنة 1347هـ، ص12

حقوق النشر محفوظة © 1445 هـ / 2024 م لموقع [الألوكة](#)
آخر تحديث للشبكة بتاريخ : 15/9/1445 هـ - الساعة: 12:52